مُقَابسَات التوحيدي

أديب كمال الدّين

مقابسة الفجر

لو أنزلنا هذا الفجر المحموم على جبل
للغيرة والشمسِ
لرأيتَ الماء سعيداً
والطير يغني شيئاً
عن ذاكرة العشبِ
لو أنزلنا هذا الفجر الاسود
علىٰ
وطنٍ للحبِ
لرأيت الزهر الدافىء ينمو
يلتف على الاثنين وحيداً
ويمشط شعر القلب
بأصابع صيغت من ندم أخضر
ويمشط شعر القبلات
بأصابع صيغت من بلور
لدن أزرق
لو أنزلنا هذا الفجر المسجون على أرض
لا تنمو فيها الخيبة والصحراء
لرأيت الأقمار
تجيء
والابواب البيضاء تقوم عذارىٰ
خلع الألق القاسي الصمت عليهن
خلع الكلمات ،
لرأيت الحلم
عجيباً
يحكي بصفاء غامض
عن عينين طلع العشب بأطرافهما
وأزاح كهوف الموت الأبدي ويحكي
برنين الماء
عن خفق العشب وفاكهة الله .

مقابسة الشكوىٰ

ليس كمثلي ان اراد البكاء
أنهار بحر أطفئت في رماد
أو شجر ملتفع بالثمر الناضج قد
ضاع بوسط الوهاد
أو وردة موعودة بالحب قد أُحرقت
حتى اختفى رتاجها
وغصنها
وجذرها
وصوتها
المغموس
بالفجر
وطعم السهاد
أو قبلة قد حوصرت
مثل بريء يُقاد
بين صهيل الحراب
ليس كمثلي ان أراد البكاء
أنهار بحر أطفئت في بكاء .

*

ليس كمثلي ان أراد الرحيل
كثبان رمل تختفي في رياح
أو غضبة للنار قد أُججت
فأقبلت
راقصة فاتحة الروحين كي تحتوي
بستان تفاح
بستان كمثرىٰ شديد الدوار .
أو قاتل فك أسار الصلب ثم اختفى
في وطن ليس به
من مدار .

. . نسر رمادي الخطىٰ قد رأى
جثة مقتولٍ بأرضٍ خراب
ليس كمثلي إن أراد الرحيل
ما يقلق الهودجُ والناقةُ والحادي
إذ مزقوا من عطش الرمضاء .

*

ليس كمثلي ناء بالشكوى
جلدٌ من الزجاج
أُغرق بالسمِ
جلدٌ من الأوراقِ قد فوتح
بالدسِ والشتمِ
جلدٌ من الأوتارْ
من نبض الأوتار إذ فوجىء
بالقمر القتيلْ .
ليس كمثلي ناء بالشكوىٰ
كأسٌ من الخمرةِ قد أُريقتْ
في دم

مخمورٌ
أو عانسٍ تخفي سهاد الوجه
شكوى تُراها كل ما اختطت به الأيامْ
والصحو والأحلامْ
والقيد والغيومْ .

مقابسة المدن

مدنٌ مأوى لرغيف محتضرٍ
ورغيف مغموس بالشهد
مأوى للكوخ المهدوم
للقصر الملآنْ
بالمرمر والغلمانْ
وبأشجار الماءْ
وبأقدام الخدم المسرعةِ
برنين الكأس وآنية التفاحْ .
مأوىً لشوارع قد سُقيت بالرغبةِ .
برحيقِ الوردةِ
إكتظتْ
بسيوفٍ تُخفي
جسد امرأةٍ من درٍّ ملتهبٍ
تترجلُ من هودجها الاسود
وشوارع لا تفضي إلّا لدعاء الموت
مدنٌ
مأوىً للسراقِ
أشباه السراقْ
للشحاذين وأشباه الشحاذين
للشرطة
والخيل ، البقالينْ
وعبيد الجلادينْ
مأوىً لنساء شبقات
أطفال ضاعوا ، أرصفة لا تحوي إلّا غرباء
مأوى
للملك
الشبعانْ
أتباع الملك
الشبعانْ .

*

مدنٌ لم تكُ يوماً مأوى لي
وأنا سيدها
وهواها الآتي
وأنا من يعشق ميسمها
من يعشقَ خفق ضفائرها
من يبحث
عن سر أنوثتها
عن سر الانسان
بها
اذ تضنيه العاصفةُ
ويُحاصر خلف الأبوابْ
من يعرف كيف تنام إذا تعبت
من فرطِ اللوعةِ والهجرانْ .

مقابسة التهويمات

هوّمتُ ـ اذن ـ في صحراء الله
هوّمتُ معي خطو دمائي
وزجاجات الفجر الثكلىٰ
هوّمتُ . . أنا روحُ العشبِ
عنقُ العصفورِ وذاكرةُ التفاحْ
وجعِ الطينِ الأسود
قلتُ :
لا منّي الروحَ بأرضٍ تأوي جذري المنفي
ولعليّ ألقى من سمّاها
من قال لذاكرةِ التفاح :
كوني . . . .
كانت عنقاً يهتزُّ
وتراً مسروراً غاضب
كانت شجراً محترقاً
يلتفُ على الماء
لا ماء !
ولعلّي القي ذاكرتي
من أحرقها .

مقابسة الزمان

الزمان عصا
ليس تكسرْ
والزمان
حلمٌ
جميلٌ
من الفجرِ
والمطر
الضاحك
من الشمسِ
إذ تجلدُ
أو تُجرجرْ
والزمانُ أنا الواحدُ الفردُ
في حيرتي
أو أساي
أبعث الاسمَ والفعلَ
أنحتُ الحال في الحرفِ
أرسم الساعةَ
وعقاربها
واشلائها
والزمان .

مقابسة المنفى

ماذا بعدُ
ها اني في المنفى
أنفي نفسي بيدي
مثل السيف الصدىء
لا . ما كنتُ
بالسيف الصدىء
بل سيفاً يتشظىٰ
إذ يبصرُ جثةْ
كنتُ والشجر المثمر
بالاعناب الملتفِ على جسدِ العاشق
من أجل صباح لاينفي أحداً عن بهجته
لا يطرده من دفء فراشه
وغناء حبيبته
من اجل صباحٍ
يتثاءب اذ ينظرُ للبلبل
ويقوم ليضفر اكليل العرس
ويقبّلُ
وجنات الأطفالْ

من اجل صباحٍ لا يجعلُ
أحداً يرجفُ
إذ يبصره
والهولُ القادمَ فيه .

مقابسة السؤال

قلبٌ يدهشه
الماء ويغريه العشبُ
قلبٌ من
ورقِ الرغبة
تتخطفه الحيرة
وتعذّبه الجثة
قلب يتساءلُ عن جسدِ العمر المجنون
لَمَ يأتي أو يرحل
ما بين الليل الذاهب والراجع
كالكلب الأدردْ
ولماذا تبدو الدنيا عند الحراس
حلماً يهبطْ
كالماءِ الهادىء في ساقية معشبة
ملأى بالؤلؤ والمرجان
خمراً ممتلئاً
بالبهجة والودِّ
بأنين القبلاتْ
. . تبدو عند الناسْ
كدراهم تُلقى في النهر الجارف
ذكرى لكؤوس قد ملئت بالريح
أتساءلُ
لِمَ كان الخبز الطيب معجوناً
بسياطِ الحراسْ ؟

مقابسة الأقوال

قلْ إنْ الأرضَ رغيفْ
لكن القطُّ الوحشيَ
يخطفُ
ما يخطفُ
من مائدة الطير .

قلْ إن الأرضَ سلام
لكن الطعنة تبحث
عن رأس تسكنه
أو قلبٍ تخلعه
والقاتلُ يبحثُ عن جثث المقتول .
قلْ إن الحاضر موضوع
والماضي تحت الأنقاض
المستقبل
في قائمة الاسرىٰ
وتجيء طيور
وتروح طوير

*

هل قلتَ : بأن الأرض عذاب ؟

مقابسة الجوع

جوع أقسىٰ من عاصفة تخلع آخر
باب يبقىٰ يهتز من الوحشة
في بيت مهدوم
أقسىٰ من ثلج يطفىء آخر
جمرات الموقد
جوع يقرض كبدي
ما تفعل لو حاصرك
الجوع
في غرفتك الصحراوية
أمسك
انفاسك ، دقات القلب
عنق الروح . .
أضحىٰ ينزعُ
عن عظمك لحمك
عن عظمك قلبك
عن عظمك رأسك
كي تمسي عدماً
ورماداً أبيضَ
وعظاماً
تتلاشى وسط دخان أزرق .

*

جوع
هو قلب دمي
وعويل النور .

مقابسة الهزيمة

أأبا حيان
اذكرْ انك
من بعد سنين معدودة
ستفارق هذي المعمورة
فتنبّهْ
فالعمر بهْ
شيء ظلّ
اعطيه شيئاً يسكن فيه
ثوباً يلتّف عليه
جسداً يطريه

*

بضع صفحات
تكتبها
وتسمي الأبيض فيها الاسود
والاسود أبيض
وتنادي العقبان
بعصافير الغدران .
أأبا حيان
كنْ
رجلاً يعرف
من أين ستؤكل
كتف الراحة
كتف الذهب المتناثر والغلمان المسرورين
وجواري القصر وتفاحه

*

*

آهٍ يكفي . .
فأنا رجل أدبّت لساني

حتى استخفىٰ في الصمت
وتراً أهدأ من
نبض الاشجـار
من زقزقة البلبل
ورياح الاعشـاب .....
.....
مالي والغلمـان !

مقابسـة المـوت

الموت ضيف أثقل من حجر يربط
بالجثث القتلىٰ
ضيف شتّام ثرثار
ضيف لم يدعَ الى شيء
لكني الليلـة
أدعوه الى جسدي
لبقايا
جسد معطوب
أدعوه
لزمان ما عرفت أشجار الروح به غير
أوراق دم وزعانف من ألم أزرق
ما عرفت عيناي به ، عبثاً ، ثوب الملكوت
فأغمغمُ محموماً من كأسٍ
تتحدث عن أزهارٍ تطلعَ صابرةً
من بيـن القضبانْ
ويعربد في قلبي الجوع .

*

واهٍ
لمَ كان الموت شحيحاً
لا يأتي بالطوفـان
لمَ كان خجولاً
ووديعاً كالازهار الملقاة
شفةً للمـاء
وغريبـاً
كثياب تركضُ في الريح الهوجاء
ووحيداً مثلـي
لا يعرف غير الدمع الرطب
وأنين الدمع الرطب
مـاذا أفعلُ
مـاذا أفعلُ يا للخسران !

مقابسـة النـار

احترقـي
تهويمـة الروح وفجر الكلمات
احترقـي
ماذا جنيتُ
غير رياحٍ كاذبات الملعبِ
وجه عجوز تائـه

بين صحارى المغربِ
وجه عذاب كالح محلولكِ

*

مـاذا جنيتُ
من هوانـا
الضائع المضطـربِ
إلّا دموعاً تغتدي كوردةٍ
من لهـبِ
أو حسـرة ما تنتهي
غادرة انت ، اذن . .
خائنة سيدتـي .

*

احترقـي
كوني طعام الاسـدِ
جمراً غريب المولدِ
ساخـرة أنت ، اذن
بـل هزأة
(مستفعلن) سيدتي !

*

هيـا ارقصي يا نار يا بحر الشواظ
هيـا ارقصي أو طبّلي أو زمّري
أصابعـي
ومعصمـي
جرحي القديم القادم المحتشد
في قلبـك المقدّدِ

*

هيـا ارقصي وهيئي
مائـدةً ـ لأجلنـا ـ
وكأسـها
المزدهـرِ
من جسدي المحتـرقِ

بغداد